إستراتيجية النص ومستويات التأويل

د. زياد فايز المصري *

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تكشف عما يدور في النقد المعاصر من قضايا ومفاهيم تتعلق بالنصوص وكيفية تناولها، وذلك من خلال تركيز هذه المفاهيم على مصطلح القراءة بوصفه أداة فعالة قادرة على التعامل مع النصوص والتكيف مع طبيعتها، ومن خلال ذلك يتم تحليل هذه المفاهيم ومناقشتها ، أو الموازنة بينهما، لمعرفة خلفيتهما ومدى ملاءمتها لتحليل نصوص قد تنتمي إلى واقع مغاير وسياق مختلف، بمعنى أنه تتم قراءة هذه المفاهيم الخاصة بقراءة النصوص لتعكس ذات الباحث، وخصوصية الواقع الثقافي والفكري الذي يُعدّ جزءًا منه، وليس فقط عرض هذه المفاهيم والنظر فيها.

ABSTRACT

This study tries to explore what is going on in the issues and conceptions of the contemporary critic, which related to texts, and how to deal with them. That will be through the concentration of these conceptions on reading idioms as an effective tool which can be able to deal with the text, and how to adapt with its nature . Thus ,we can analyze and debate on these conceptions or make parallel between them to know its background and suitability to analyze texts which belong to different surroundings or different contexts .That means , reading these especial conceptions will be done by reading the surrounding of the texts to reflect the inners of the researcher and the specialty of the cultural and intellectual surroundings which be considered as a part of it , so as not to produce these conceptions and investigate them only.

* كلية العلوم والتكنولوجيا – خانيونس – فلسطين.

مقدمة :

تتداول الدراسات النقدية المعاصرة مصطلح القراءة لتعكس مفاهيم وآليات مغايرة لما كان سائداً ومألوفاً، سواء في تحديد أطر وحدود هذا المصطلح، أم في مضامينه المتعددة، وطرائق عمله، ضمن شبكة علاقات متسقة وفاعلة.

ومن المسلم به النظر إلى القراءة بوصفها جهداً إنسانياً محضاً، يتبدى بشكل خاص ضمن أشكال التواصل البشري، من ثم يحمل في طياته نتائج وسمات العلاقات الإنسانية، وهي بطبيعتها عميقة، ومتشعبة، وممتدة...

ووفق منظور آخر، فإن التواصل عبر القراءة يندرج فيما يعرف بالعلوم الإنسانية، تلك العلوم وفروعها المتعددة التي ترتبط باهتمامها المشترك بالموضوعات الاتصالية[1]، بمعنى دراسة النصوص وتحليلها، لذلك يبدو طبيعيا أن تتولد مصطلحات أو دوال تدخل إلى ذات السياق الذي يشمله مفهوم القراءة، مثل : التحليل، أو التأويل، أو التلقي[2]، وبالرغم من الطرق المختلفة، والمفاهيم المتعددة التي تعكسها هذه الألفاظ، وتمثل – في الغالب – دالات لمستخدمها، فإنه يمكن بقليل من الجزم، إدراجها ضمن مفهوم القراءة بمعناها الشامل، وذلك على النحو التالي:

التحليل = قراءة محايثة

التأويل = قراءة متجاورة (أو مفسرة)

التلقي = قراءة تفاعل

إن التعدد في أساليب القراءة، وفق هذا التصور، يرتد أساساً إلي رؤية القارئ وموقفه، وليس إلى خاصية بنائية أو تشكيلية تستدعي نوعاً محدداً من القراءة، فمن جانب لا يتصور أن يؤدى تبدل رؤية القارئ إلى تبدل مواز في علاقات النص، وفي جانب آخر لم تزل العلوم الإنسانية لا تمتلك اليقين الحتمي الذي يغلق الدلالة ويسجيها في قالب ورقي، لذلك تتعدد الأساليب وتتنوع، وفى كل منها مجموعة إجراءات ومفاهيم، فالقراءة المحايثة (التحليل) تكشف، في أحد الجوانب، عن اعتداد وتقدير لسلطة النص، أو استبداده – كما يعبر أحياناً[3]– من ثم ينكب القارئ على الأنساق البنائية، والأدوات التعبيرية التي تشكل في تركيبيتها بناء كاملاً ومغلقاً ومتناسقاً فنياً ودلالياً[4] .

أما قراءة التجاوز (التأويل) فإنها تومئ إلى هيمنة القارئ الذي يرى في النص بناء غير مكتمل، فيفرض نفسه ويوسع من أبعاده باحثاً عن فجواته ومصادرة، ومحاولاً، في الوقت ذاته، استنباط المرامي البعيدة التي تختفي في مكان ما، وقد يرى ضرورة إعادة كتابة النص من جديد .

وأما قراءة التفاعل (التلقي) فتأخذ موقفاً وسطاً بين سلطة النص، وهيمنة القارئ، فكلاهما يتمم الآخر في علاقة جدلية ومتبادلة (القارئ هو الذي يمنح النص نصية، والنص هو ما يجعل الفرد قارئ نصوص)، وبمعنى آخر فإن الدلالة تنبثق، وفق هذه القراءة، نتيجة للتفاعل الإيجابي بين النص والقارئ معاً[5]، وفي كل هذه الأوجه والأساليب تتبدى علاقة تواصل بكيفيات متعددة بين طرفين، ويمكن صياغة طرفي هذه العلاقة برؤية أخرى تشكل ثنائيات متجاوبة: مرسل/ مستقبل - نص/ قارئ - مبدع/ متلق - كاتب/ دارس ، ويكمن بالطبع وسيط بينهما يتمثل في الرسالة، أو المعنى القصدي، أو الدلالة التي تجعل العلاقة ممكنة وإيجابية، غير أن أطراف هذه العلاقة - فضلاً عن الوسيط - تنحو منحى مخالفاً لما هو سائد ومألوف، إنها تقدم نفسها بشكل خاص ومعقد أحياناً، وتستخدم طرائق عدة وآليات متنوعة، بل حيلاً ومناورات للاستئثار بموقع متميز أو متكافئ في هذه العلاقة ذات الأبعاد العميقة والمتشابكة .

إشكالية الذات / إشكالية الموضوع :

يقدم النص، وفق منطق خاص، طاقات وإمكانيات متعددة في محاولة للتواصل مع قارئ متصور، ويتصف القارئ بهذه الصفة لأنه غير متعين لمنتج النص، كما أنه غير معاصر له بالضرورة، فقد تفصلهما مئات السنين، ويعني ذلك أن النص، بمعيار ما، يمتلك سراً من أسرار البقاء والتجدد والخلود ...

إن التواصل غير المنقطع زمنياً، وغير المحدود مكانياً، يتطلب صياغة وسائل وأدوات تتمكن بخصائصها الذاتية من مغالبة الزمن، والانفلات من قيوده، ومن سائر عمليات الاحتواء أو التدجين[6]، غير أن العلاقة السابقة تفترض ـــ على المستوى السطحي ـــ وجود ثلاثة أطراف يشكل النص محورهما، ويمكن صياغتها على النحو التالي :

مؤلف ⟵⟶ (نص) ⟵⟶ قارئ

إن إيثار العلاقة الأولى (المؤلف/النص) يعني الاحتكام إلى النظام، واستدراج مفهومه وآلياته، من ثم يتم التعرف على الدلالة وإنتاجها بالبحث في نوايا ومقاصد المؤلف، أو مفاهيمه، أو أيديولوجيته كشفرات لا تخطئ في كشف الدلالات، أو - بتعبير آخر - يتم التسليم بأن « إنجاز

المؤلف مساو تماماً لما كان ينوي أن ينجزه.))[7]، وفضلاً عما يفترضه تصور كهذا من إمكانية النفاذ إلى العالم العقلي للمؤلف، وامتلاك مقدرة لاسترجاع نواياه الخبيئة، فإنه كذلك يفترض وجود علاقة تماثلية بين التفسير المعطى وبين عالم المؤلف العقلي، لكن ما يغيب يتمثل في مصادرة مثل هذه الافتراضات لدور القارئ، ومن ثم غلق الدلالة وتبديد أخص خصائص النصوص، إذ تتعدد دلالاتها بتعدد القراءات، فيتحول النص إلى محاور نشط للقارئ بلا حدود زمانية، كما أن مادته، وهي اللغة، تتأبى على الحصر والمصادرة بسبب الطابع التخييلي الذي يغلفها وينـد عن التقعيد، فضلاً عن العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، حسب التصور السوسيري، داخل نسق اللغة[8] وإمكانات المحور الاستبدالي (Paradigmatic) التي تحيل حصر الدلالة داخل النصوص إلى مجرد وهم.

وبناء على ذلك يمكن إعادة صياغة أطراف العلاقة السابقة على نحو مختلف: (القصد/ النص/التفسير)، وهي علاقة متراكبة ومتداخلة، غير أن ما هو جلي فيها يتمثل في انسجام المقصد مع تأطير الدلالة وتثبيتها، في حين أن التفسير يتجاوب مع هذه الطبيعة ويؤكدها، كما يتجاوب مع سيرورتها وقابليتها للتعدد والاحتمال... لكل ذلك فإن القول بأن " المؤلف يغني عنه النص))[9]يغدو أمراً واقعياً، كما أن مقولة " موت المؤلف))[10]، غدت شائعة بالرغم من طابعها العنيف، ومن المتصور أن يكون المؤلف قد مضت عليه أحقاب، وقد يكون معاصراً لقارئه، لكن ما هو جلي أن المؤلف كذات هو جزء من واقع تاريخي، اجتماعي وثقافي، لا يملك صياغته وفق مشيئته، أو الإحاطة به، وهو فضلاً عن ذلك واقع متبدل يغير المفاهيم والمواضعات، ومن ثم ينسحب المؤلف كذات، ويبقى النص يقاوم التغير والتبدل ويتكيف معهما، ومع قراء متباينين، لخصائص ماثلة فيه، وليس في عقل منشئه، بمعنى أنه يكتسب نصيته عندما يتحول إلى إمكانية للمستقبل، ولا يتأتى ذلك دون موقف القارئ وطريقة تعامله معه، فقد يحوله إلى مجرد عمل أدبي أو(أثر)[11]، يتخذ صفة مستقلة ومغلقة ومكتفية بذاتها، وقد يجعل منه نصاً يكتسب طاقة رمزية قابلة لتعدد الاحتمالات والدلالات، ويمكن القول، تبعاً لذلك، بأن الأثر الأدبي هو إنتاج مؤلف، أما النص فهو من إنتاج القارئ[12]، وهي علاقة دالة في هذا السياق، إذ إن نفي التماثل بين الدلالة المستنبطة وبين قصدية المؤلف (النص/المؤلف) يحرر النص من التقييد والتأطير إلى الإمكان، فيتم تحقيق أهم سماته وأهدافه الكامنة في التواصل الإنساني غير المنقطع زمنياً أو مكانياً .

ومن جانب آخر، وبخلاف المؤلف، فإن القارئ بإزاء أداة مفهومية متخيلة، تشكل بذاتها مادة للتواصل الممكن مع آخرين، ومن خلال فعل القراءة يتم بناء تصور عما تتضمنه هذه الأداة من

دلالات، وهكذا يتحول القارئ أثناء القراءة إلى مشارك في عملية الكتابة والإبداع، ووفق هذا المفهوم، الذي يرتكز على بناء رؤية وتصور، وليس فقط اكتشاف معنى، فإن تصور القارئ يغدو بمثابة عملية توسيع لأفق النص، أو إعادة كتابة له، ومن الممكن أن يتحول إلى نص أيضاً، ومما يسهم في عملية التصور والبناء الجديد؛ طبيعة النصوص التي تتصف بالكثافة والمراوغة والخيال، فضلاً عن تقنيات بنائية وتشكيلية متعددة تحيل النص إلى طاقة من الإمكانيات المتعددة.

إن فعالية القراءة بهذا الشكل تقتضي تهيئة وسائل، وتوافر شروط متعددة، يتمثل بعضها في الرصيد الفكري والثقافي الذي يملكه القارئ، ويتجاوب مع المواضعات العامة والمفاهيم السائدة التي تحكم إنتاج النص، غير أن هذه لا تتبدى في النص بشكلها المألوف، أو تمثل محتوى مناظراً لتوقع القارئ، بل إن النص يقوم عادة بعملية تبنين وإعادة تشكيل لهذا العالم المستقر، أو ما يطلق عليه أحد الدارسين مصطلح (الإستراتيجيات) التي يبتدعها النص في تشكيله وبنائه[13]، غير أن الأهم - الآن - كيفية تفاعل القارئ مع هذا الشكل غير المناظر تماماً لرصيده، ومجرد الإشارة إلى ذلك تحيل إلى تراث ضخم من الكتابات والدراسات التي تتعلق بالنص والقراءة، وهي كتابات تتناول كل شئ، ووفق مناهج وطرق متباينة، وداخل كل منهج تتعدد الآراء وتختلف، بل تثير أسئلة أكثر مما تقدم إجابات أو حلولاً ممكنة، والباحث - وكل باحث آخر تقريباً - مضطر إلى أن يحدد خياراته بما ينسجم مع رؤيته وموقفه، وبما يخدم واقعه أيضاً، وقد أشرت فيما سبق إلى تعدد أوجه القراءة وأساليبها، وجزء أساسي منها يرتد إلى رصيد القارئ، وما يملكه النص من رصيد أيضاً، ومن الممكن، تبعاً لذلك، النظر إليها مجتمعة بوصفها إجراءً تبادلياً صعباً بين كفاءة القارئ، ونوع الكفاءة التي يفرضها أو يفترضها النص المقروء[14]، هذا بالرغم من أن كوللر(J,Culler) حاول أن يخصص مفهوم الكفاءة ليس باعتباره وظيفة للنص، بل بوصفه طريقة خاصة في القراءة، لذا يقترح ألا تكون المناقشة منصبة على أدبية النص[15]، بل على الكفاءة الأدبية عند القارئ[16]، وهي تعني سيادة أعراف نوعية، أدبية بالتحديد، بالرغم من أن النصوص ذاتها تحمل خصائص أدبية لا يمكن إغفالها، من ثم فإن طبيعة العلاقة بين الطرفين تفرض بقاء الأدوار متبادلة، وغير قابلة لتحديدها بصرامة، بمعنى أن السعي لإقامة نظرية متكاملة في التواصل يبدو أمراً صعباً، وهذه الصعوبة يتم التعبير عنها في أدبيات النقد المعاصر بصيغ مجنحة تملك الإيحاء مثل: أفق الانتظار - مسافة التوتر - الفجوة - الانشطار - الانزياح - إماطة اللثام - مناطق الصمت - مناطق عمى...[17]، وكلها تعبيرات تحاول وصف طبائع النصوص، ومن ثم توجه جهد القارئ، وتحدد له مناطق عمل ليملأها، بمعنى أنها تهيئ

لإستراتيجيات محددة في القراءة موازية لإستراتيجيات النصوص، وقد لاحظنا أن النصوص بطبيعتها، فضلاً عن تباين القراء واختلاف مشاعرهم ومشاربهم، غير قابلة للتأطير في خطاطات رياضية، ومن خلال النظرة المعمقة لدلالة هذه التعبيرات يتكشف الحديث عن التوتر أو الفجوات أو مناطق الصمت في النص بدلاً من الحديث عن صعوبة، أو عدم إمكانية بناء نظرية متكاملة وشاملة سواء حول كيفيات عمل النصوص وخصوصيتها، أم حول كيفيات تعامل القارئ وخصوصيته أيضاً.

ومن جانب آخر، فإن النظر إلى هذه العلاقة بوصفها علاقة مستحيلة قائمة على محض أهواء بلا منطق ولا غاية، وإن" القراءة الوحيدة لنص معين ويمكن التعويل عليها هي قراءة خاطئة .. "[18]؛إنما ينفي عقلانية النصوص والقراءة معاً، ومن خلالهما تنتفي عقلانية العالم القائم ومواضعاته أيضاً، ويعبر عن ذلك أحياناً بصورة ملطفة تحمل ذات الدلالة مثل " إساءة قراءة"[19]، وبالنسبة إلى لغة الباحث السيميولوجي فإنها " تتباعد من حيث هي النظام ثان عن لغة الموضوع التي هي نظام أول، لنصل إلى دور لانهاية له .."[20]، وهي تعبيرات ومفاهيم تقف حقاً على طرف مناقض للتحديد الصارم، غير أنه موقف يتبدى بلا التزامات ولا ضوابط، إذ تترك الحرية المطلقة للقارئ في التحليل، وفي إضفاء المعنى الذي يريده على النص، وإكساب معناه مشروعية التحول إلى نص يحتاج إلى قراءة أخرى بلا ضوابط أيضاً، وهكذا تتحول علاقة القارئ بالنص إلى (لعبة) مع الدوال فقط، أما الدلالات فلها أن تتدبر أمرها بنفسها...[21]، وهو موقف يشي بعدم الرغبة في تحديد أي شئ بالمطلق، وعدم مشروعية ذلك أيضاً، ويتم استخدام تعبيرات مجازية لتجسيد علاقة القارئ بالنص وفق هذه الرغبة مثل: كرنقال– مداعبة– رقص– لعب حر للدلالة– لعبة– احتفال– هسهسة اللغة– اللغة في إجازة – سماء ملساء – فضاء – درجة الصفر ... [22]، وهي تعبيرات تكشف– بنظرة معمقة – عن محاولة إعادة تشكيل قيم ومفاهيم من خلال إضفاء معنى خاص على نص قائم.

وما بين هذين الموقفين : التحديد الصارم الدقيق لكل شئ، وعدم مشروعية التحديد بالمطلق لأي شئ؛ يمكن وضع علاقة(النص/القارئ) ضمن السياق الأعم (الواقع التاريخي) الذي يتولد داخله النص(المرسل)، وينتج القارئ تفسيره من خلاله(المستقبل) ، والعلاقة بينهما ليست في اتجاه واحد يفرض سلطة واستبداداً مطلقين، بل علاقة متبادلة تكشف، في أحد جوانبها، عن نسبية الإرسال والاستقبال معاً، وتنسجم في ذلك مع طبيعة السياق التاريخي الذي يتصف بالتبدل وعدم الثبات أيضاً، وكلها خصائص ماثلة في طبيعة طرفي العلاقة السابقة بكيفيات وصور متعددة .

تعدى النص / استدعاء الذاكرة:

من المسلم به القول بأن النص ليس مجرد شكل مادي غفل، بل محتوى ومضمون، ومن الممكن القول أيضاً، بشكل أكثر كثافة وعمقاً، بأن الأسلوب الذي يخلق النص ليس مسألة تقنية صرفة، بل مسألة رؤية وموقف، وتتبدى هذه العلاقة المتراكبة في أحيان كثيرة متوائمة مع طبيعة اللغة ذاتها بوصفها دالاً لمدلول، من ثم فإن إشكالية العلاقة السابقة (النص/القارئ) وانفتاحها على الاحتمال والتعدد، تنعكس بنسبيتها على وظيفة هذين الطرفين في مجال النقد، كما أنها نتيجة لهما بذات الوقت، وبالطبع ليس هذا موضع مناقشة تراث الألسنية وما خلفته في الشكلية والبنيوية وما بعد البنيوية، والأهم– تبعاً للبحث– مدى تأثير ذلك في مفهوم النص والقراءة بمختلف مستوياتها، فقد أدت العلاقة غير المستقرة بين الدال والمدلول، منذ أن بينها دى سوسير(F,de,Saussure) إلى تأثير عميق في مضامين هذه العلاقة، وفي علاقة النص بالقارئ أيضاً، ويرتكز هذا الجهد على اعتبار أن اللغة ليست كومة من الكلمات المتراكمة التي تؤدي وظيفة أولية، بمعنى أن الكلمات ليست رموزاً تتجاوب أو تتطابق مع ما تشير إليه، بل علامات، وهذه تتبع نسق اللغة السابق في وجوده على الكلام الفردي، وكل علامة مركبة من طرفين متصلين، أما الطرف الأول فهو الدال(signifier) - إشارة مكتوبة أو منطوقة - والطرف الثاني يتمثل في المدلول (signified)، وهو الصورة الذهنية التي نعقلها من الدال، وبعبارة أخرى فإن العلامة هي تآلف (المفهوم) و(الصورة الصوتية) – لاحظ عدم اقتران أي منهما بالأشياء – والعلاقة بين هذين المتآلفين هي علاقة اعتباطية محضة[23]، من ثم يغدو الباحث في اللغة بإزاء تصور لانساق، أو أنظمة من العلاقات، وليس مجرد البحث عن صلة بين الكلمات والأشياء .

وعندما ينتقل هذا النموذج ذاته إلى طرفين مماثلين (النص/القارئ)، يمكن، في جانب، إدراك طبيعة العلاقة المتراكبة وغير القابلة للتحديد الصارم، خاصة وأن كل طرف منهما يتضمن بمفرده هذا التآلف المدعي (النص دال – القارئ باحث عن مدلول)، وعندما ينجذبان في علاقة متبادلة فإن الإشكالية هنا تغدو أكثر تعقيداً، وفي جانب آخر يفسر ذلك ماهية الاختلافات والتصورات المتعددة لوظيفة وطبيعة كل أطراف العلاقتين السابقتين، وقد لاحظنا فيما سبق وجود آراء يلجأ أصحابها إلى محاولة تأطير كل شئ، ووضع آليات عمل وأهداف مقننة على القارئ أن يترسم خطاها في علاقته بالنصوص، وبالرغم من كثرة هذه الآراء واختلافها في أحيان، وتناقضها في أحيان أخرى– وهو ما ينافى التحديد الدقيق– فإن البحث عن النظام والاتساق من

خلال التخلص كلية من العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، هو ما يفسر هذه المحاولات ويبررها، فهي تحتكم إلى نظام اللغة، وتضع استراتيجيات في القراءة ضمن أنساق اللغة وليس العكس، وذلك باعتبار نسق اللغة يمثل نظام العلاقات الذي يعول عليه المتكلمون لا شعورياً عند الكلام (اللغة نظام، والكلام استعمال)[24] ،من ثم فإن كلمات مثل نسق ونظام وعلاقات صارمة تجد طريقها إلى علاقة القارئ بالنص، فتتحول بدورها إلى علاقة منسقة ومنظمة بدقة (متضامنة مع اللغة)، وتغلب هذه المعايير في القراءة المحايثة (التحليل) التي تنكب على اللغة وأنساقها، وتبحث عن الأنظمة الكلية التي تتحكم في الكلام، وتزيل ما يبدو على سطحه من تشتت وتناقض، كما تتعرف على العلاقات القائمة بين جزئيات النص، وتملأ ما يبدو من فراغات وفجوات في بنائه.

إن هذه القراءة، بصورة عامة، تعتمد على الوصف فتبقى قريبة من علائق النص وبنيته الداخلية، على أساس أنه يشكل أنظمة لغوية ثابتة ومكتفية بذاتها، من ثم يرى أحد الدارسين " أن النص الأدبي نص لغوى، لا يمكن سبر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها، ذلك لأن هذا التحليل هو ما يقودنا إلى تفهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة في النص .. "[25]، ونظراً إلى أن الشحنة الدلالية كامنة داخل العلاقات اللغوية الماثلة (النص المقروء) فإن فهمها يتطلب هذا النوع من القراءة الذي يطلق عليه إيجلتون (T, Eagleton) تسمية القراءة اللصيقة[26]، ويعنى بها إنطاق صوامت النص عن طريق سد الفجوات ومناطق الصمت فيه، كذلك يتفق ماشيرى (P,Macherey) مع القول بوجود فجوات ومناطق صمت في النص..[27]، غير أن أبرز ما يمكن أن يواجه هذا النوع من القراءة إنما يتمثل في إمكانية تثبيت الدلالة والإقرار، من ثم، بأحاديتها– بل يتم إلغاؤها عند مدارس كالشكلية والبنيوية اللغوية – لتتسق مع نظام اللغة الذي يتصف وفق هذا التصور بالثبات والأحادية معاً .

وقد تبين فيما سبق أن النصوص بطبيعتها تتسم بالتعدد والثراء الدلاليين، مما يناقض هذا التصور، كذلك يمكن المساواة وفق هذه الحالة بين النص وبين ما يقبل أحادية الدلالة كالكلام اليومي أو التقرير العلمي ... ، وفي جانب آخر فإن مفهوم ثبات الدلالة وأحاديتها تناقضه التغيرات المستمرة التي تطرأ على السياق التاريخي، ويستجيب النص لها ويتعايش معها، لذلك فإن تحديد آليات صارمة للقراءة اتكاء على النظام والثبات والأنساق الكلية غير المرئية – ما تتصف به اللغة دون الكلام – يقود بالضرورة إلى التضحية بأشياء مهمة وأساسية في النص ذاته،

وبالرغم من العمق، والموضوعية التي تتشبث بها هذه القراءة، فإنها تتجاهل أو تسقط أشياء ثمينة ومهمة للقارئ أيضاً.

وفي الجانب المقابل، يتبدي موقف مغاير يتخلى تماماً عن فكرة النظام أو التحديد الدقيق، اتكاء على عبثية البحث عن أنساق لازمنية، فالنص، وفق هذا المفهوم، لم توجده قوى خفية لا يمكن تحديدها أو قراءة غاياتها، ويأخذ هذا التوجه صورة مناقضة وصريحة أحياناً تتجه إلى عدم إمكانية أو مشروعية تحديد أي شيء، وذلك ما يستدعيه ترك اللغة كنظام، والاعتماد فحسب على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، فالدوال غير محددة بمدلولات معينة، ويبدو الأمر كما لو أن اللغة (أي لغة) تصوغ عالم الأشياء والأفكار في مدلولات اختلافية من ناحية، ودوال اختلافية من ناحية ثانية، ذلك لأن "النسق اللغوي سلسلة اختلافات لأصوات تتضام مع سلسلة اختلافات لأفكار"[28]، وبناءً على هذه الرؤية تغدو الطبيعة وأشكالها غير ثابتة الدلالة، وليس هذا فحسب، بل إن كل دال يكتسب مدلولات جديدة مع كل سياق، وهذه المدلولات تتحول إلى دوال تكتسب مدلولات أخرى جديدة في سياق جديد، وهكذا في حركة لا نهائية وغير محدودة...

وعندما يوضع هذا النموذج، الذي يحمل علاقة مشوشة بين طرفين (دال/مدلول) بإزاء علاقة أخرى تجمعهما وشائج لغوية (النص/القارئ) يتبدى انسحاب كل العبارات السابقة على طرفي هذه العلاقة، ويمكن صياغتها على النحو التالي:

(النص : دال/القارئ : مدلول)، لذلك فإن النص يكتسب قراءات جديدة مع كل سياق، وهذه القراءات تتحول إلى نصوص أخرى تكتسب قراءات أخرى جديدة في سياق جديد، وقد كان تحول القراءة إلى نص، خاصة في بداية تشكل هذا التصور، مجرد إمكانية لا تتوافر لكل القراءات، وكان التركيز منصباً على النص بوصفه شيئاً ملموساً وقائماً، يدخل القارئ معه في علاقة لمحاولة استكشاف آفاق دلالاته، ووفق ذلك ينفتح النص على العالم الخارجي بكل تعدده واحتمالاته الكامنة، ويهيمن على هذا النوع ما يعرف بالقراءة المتجاوزة (التأويل)، فليس المطلوب وصف الشيء ومعرفة معناه – كما في القراءة السابقة – بل إنتاج دلالة وبنائها، أو تفسير الآثار التي يخلفها النص في القارئ، على أساس أنه يتيح بطبيعته سلسلة من القراءات الممكنة[29]، ويتيح هذا التعدد والثراء الذي تختزنه لغة النصوص إمكانية فهم العالم بشكل أفضل، لأنه يتسم بذات الصفات، فتغدو اللغة "سلطة تشريعية"[30]، تحل محل كل النظريات السابقة في تفسير الوجود[31]، ولا بد، من ثم، من أن تتسم بصفات محددة تنسجم مع وظيفتها، فلا تكون "وسيطاً شفافاً"[32]، يستطيع القارئ من خلاله إدراك حقائق الأشياء، بل يتحرر الدال من الأشياء

كي يولد معنى متى شاء، ويدمر رقابة المدلول وإلحاحه على معنى واحد"[33]، وتخليص الدال من مدلوله، أي كسر هذا التآلف المتعسف بينهما هو ما يهم القارئ (المؤول) ليوقن بـــ "انعدام القراءة البريئة"[34]، فيتحول إلى طاقة إبداعية تنهض بدور أساسي وفاعل في تحفيـــز الـــنص للإيحـــاء بدلالات جديدة ومتغيرة عبر تاريخ تأويلاته"[35]، وبعبارة أخرى تبقي الكلمة عند "درجـــة صـــفر الكتابة"[36]، متحررة من أعباء تاريخها الأليف، وبيئتها الحميمة، وخالية من العلاقات والفـــروق المميزة ليتاح مواجهتها في النص حرة تحفل بإمكانيات لا محدودة.

وبهذا المفهوم يغدو النص بدون نهايات أيضاً، إذ يتمثل في مجرد إمكان مفتوح لا تقيده حدود، وتصبح القراءة، تبعاً لذلك، بحثاً في هذا العالم المليء بالأحاجي والأسرار والإمكانات، وعنـــدما تكثر القراءات وتتعدد، فإن العالم (النص) يتحول إلى فضاء وخلاء، أو "سماء ملـــساء منبـــسطة وعميقة، من دون حواف أو علامات.."[37]، ويومئ هذا التماهي المطلق مع لعبة الدوال إلـــى أن العلاقة لم تعد اعتباطية فحسب، بل علاقة مترهلة باطراد، هذا بالرغم من أن البشر في ممارستهم للكلام يتواضعون على علاقة ما تربط الدال بالمدلول، حتى لو كان تواضعهم مجرد (افتـــراض) بأنهما يشكلان كياناً متحداً، ويحتفظان – من ثم – بوحدة معينة في المعنى، ويرى أحد الدارســـين بأن الرمز عندما يوجد فإن "ما يستثيره يصبح شيئاً محدداً للبنيـــة الطبيعيـــة للـــذهن، ولعلاقتـــه بمجموعة الرموز الأخرى في اللغة"[38]، ويمكن أن ندرج كلمتي (افتراض) و (ذهن) في ســـياق تكاملي ليتبدى مفهوم آخر، فما دامت هاتان الكلمتان لا تملكان اليقين الحتمي (افتراض ذهني)[39]؛ فإن السياق قد يتحول إلى عملية إرجاء للمعنى، وليس إلى إلغائه بالكلية، وبعبارة أخرى انتظـــار تدخل أشياء ملائمة وفاعلة لحسم المعنى، ويتمثل أحد هذه الأشياء في " نظام المعايير والمواقـــف لجمهور معين في لحظة تاريخية محددة، يكمل (بطريقة ما) القصدية الكامنة للنص..."[40]، وهذا تعريف لمفهوم جديد يتعلق بالقارئ يسمى (أفق الانتظار)[41]، ويتمحور حول إمكانية أن ينـــسجم النص مع ما ينتظره القراء منه، تبعاً للمعايير العامة التي تجمعهما، غير أن هذه المعايير ليـــست ثابتة – مثل الدلالات – واقتصارها على (جمهور معين) و (لحظة زمنية) يعرضها للتبدل الدائم، خاصة وأنها تعتمد على مؤشرات نصية قابلة للتعدد، ومن جانب آخر، فإن طبيعة النص – الجيد منه خاصة – تميل إلى تخييب الانتظار، أو بعبارة (أبو ديب) كسر بنية التوقعـــات[42]، ويطلـــق عليه آخر (التوقع الخائب)[43].

من ثم تتضامن أشياء كثيرة في إبقاء هيمنة النص على أي محاولة لتـــأطيره، أو الحـــد مـــن فاعليته، فيقف بذلك موقف الدال اللغوي، وتتحول القراءات إلى مدلولات متقلبـــة لا أمـــل فـــي

استقرارها، أو إنهاء حركتها المستمرة، وهي خصائص ماثلة في النص والقارئ معاً، وكلاهما لا يولد في فراغ ولا يعمل في فراغ أيضاً، وكل طرف يأتي متسلحاً بكل ما يملك في رحلة مراوغة بلا نهاية، ويغدو النص عبر هذه الرحلة – المفترض أنها تكشف بعض ملامحه – محملاً بطاقات إضافية يعبر عنها بمفهوم التناص (Intertextuality)، وهو وثيق الصلة بمفهوم القراءة المتجاوزة، أو ما يعبر عنها أحياناً بالقراءة المتعالية لإكساب المفهوم مضامين جديدة، وحقائق مضافة تنسجم مع ما يكتنزه من ثراء وجدة، والأهم عدم القدرة على الإحاطة بأبعاده، أو مجرد تخيل حدود لإمكاناته، وبوصفه أداة معرفية تحاول إدراك دلالات النصوص، فإنه بصفاته تلك قد يتواءم مع طبيعة الدلالات ذاتها، وربما بهذا وجد له أرضاً خصبة ترعرع فيها بسرعة[44]، وبدا أنه قادر على فتح آفاق جديدة لقراءة النصوص، ففي مرحلة سابقة على ميلاد مصطلح التناص، رأى بارت (R, Barthes)، بأن "الكتاب ليس لديهم سوى القدرة على مزج كتابات موجودة بالفعل، وإعادة تشكيل الكتابات وتجميعها، وهم لا يستخدمون الكتابة للتعبير عن أنفسهم، أو ذواتهم، بل ليعتمدوا على المعجم الهائل للغة والثقافة الذي هو معجم مكتوب دائماً من قبل.."[45]، هنا تتحدد مهمة القارئ – اتكاء على تحليل متأنٍ لعبارة بارت – في تفكيك هذا الشكل الذي يبدو جديداً، بهدف معرفة عناصره، سواء الأساسية أو العرضية، ووسائط تشكيل هذه العناصر التي جعلت منه نصاً مختلفاً عن عناصره المكونة له، وفي معرض آخر ترى كرستيفا (J,Kristeva) أن "كل نص عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"[46]، وبالرغم مما يبدو على السطح من تقارب بين المقولتين، غير أنه – وبنظرة معمقة أيضاً – يتبدى اختلاف أساسي ومحوري بينهما، ويمس كلاً من النص وطريقة قراءته معاً، فعبارة (بارت) تشير إلى مهمة محددة للكاتب – لهذا اللفظ دلالته – تتمحور في خطوتين متتاليتين، أولهما: (مزج كتابات ...)، والتعبير يشي بعمل آلي محض، منفصل في جوهره عن دواخل الإنسان، ولا يتمايز فيه البشر (الكتاب)، وثانيهما: (إعادة تشكيل)، وهذه تشي بصنعة تحتاج إلى مهارة (عقلية) يكتسبها الإنسان بالدراية والخبرة، خاصة وأن إعادة التشكيل تعتمد على مواد شائعة وموجودة سلفاً، من ثم فالكاتب صانع[47] يمزج ليعيد التشكيل معتمداً على مواد متاحة، ولهذا علاقة بمفهوم النص والقارئ معاً .. فالمطلوب من ثم، قارئ (حاذق) يملك الأدوات الملائمة لتفكيك هذا الشيء المصنوع (النص)، ومعرفة ما استغل من المصادر المتاحة، ودور كل منها وقيمته، وقد يعيد القارئ تشكيل هذه الأجزاء لتتبدى في واقع (نص) جديد، خاصة وأن معجم اللغة والثقافة متاح، ومكتوب بالفعل.

أما عبارة (كريستيفا) فتشير أيضاً إلى خطوتين متتاليتين، غير أنها تتباعد عن تحديد خطوات العمل التي يؤديها الصانع، وتقترب من وصف المنتوج لتوحي – مجرد إيحاء – بكيفية إنتاجه، فكل نص هو (تشرب ...)، وهي كلمة كثيفة الدلالات بسبب الطابع المجازي الذي يغلفها ، فتفرض على الذهن صورة الأرض (النص) وهي تتشرب قطرات المطر وتخزنها في مساماتها بكفاءة وتؤودة، والخطوة التالية – من ثم – هي (تحويل ...)، وهي أيضاً كثيفة الدلالات، إذ إن قطرات المطر تهيئ فحسب عملية التحويل، فبمساعدة خصائص ماثلة، وظروف موضوعية قائمة تتم عملية التحويل، والناتج هو نباتات شتى لا يمكن تفكيكها إلى عناصرها ولا يجدي ذلك، والنص هنا ليس صناعة، بل خلق وإبداع جديدين، بالرغم من اعتماده على مصادر موضوعية وظروف مؤاتية، والقارئ يغدو مدعواً لأن يكون متفرداً في عمله، يملك الخيال والصبر والأناة لكشف الأسرار والتأمل فيها، وليس من المبالغة القول بأن ذلك يمثل جوهر فكرة التناص كما أرادتها صاحبتها، وربما كان ذلك مدعاة انتشار وإعجاب العديدين بهذا المصطلح، بما يتضمنه من آفاق شاسعة تتيح إمكانية التجديد، ونزوع البشر الطبيعي نحو الجديد .

ومن الممكن الاقتراب أكثر من إمكانات هذا المفهوم الجديد، خاصة في رؤيته للنص وكيفية قراءته، من خلال تباين أساليب وطرق توظيفه في قراءة النصوص، إذ يملك ــ وفق رؤية معينة ــ سعة ومرونة وكفاءة تمكن من تحويل النص إلى فضاءات مترامية أغلبها غير مطروق، وتملك سحراً في انتظامها وفي كيفية تنسيقها لمكوناتها، وهي مكونات تضرب عميقاً في الماضي، وما زالت تملك الدهشة والسحر في الحاضر، هذه المكونات هي النصوص بالتحديد – بأوصافها الخاصة التي تمكنها من الانتشار والخلود – وعلى هذا النحو يبدو النص (المقروء) مجالاً تتقاطع فيه أخبار قادمة من نصوص أو خطابات أخرى[48]، من ثم فالنص – أي نص – لا يشكل وحدة قائمة بذاتها، والنصوص أو الخطابات التي تتقاطع داخله قد تكون نصوصاً سابقة عليه، أو معاصرة له، وسواء أكان ذلك بوعي وقصد أم بدون وعي، كذلك فإن عدم تحديد أو تخصيص نوع هذه الخطابات يدل علي شموليتها التي تستدعي الثقافة والفكر والتاريخ، من ثم يحيط بالنص قدر هائل من ألوان الخطابات والنصوص التي تمثل ميراث أمة بأكملها، أو ميراث الإنسانية بشكل عام، فضلاً عما هو معاصر وما هو في طور التكوين أيضاً .

هذا المعين الثقافي والفكري يحتفظ بمقومات الحياة فيتبدى مؤثراً وفاعلاً بذاته، ولا ينتظر أحداً بمد إليه يديه ليختار ويمزج...، ويتحول جهد القارئ، أو ينبغي أن يتحول تبعاً لذلك، إلى تفحص النسيج المكون للنص، ومن ثم تحديده أو تصنيفه أو تأمله، فالنص في هذه الحالة أشبه بالشبكة -

كما يرى أحد الدارسين[49] – بحاجة إلى لون من القراءة يتابع التقاطعات والتداخلات التي تشكل في النهاية نسيج النص المقروء، وتفرض تعالقه أو تداخله مع نصوص أخرى سابقة أو متزامنة، ومن الممكن – حسب دارس آخر – أن يطلق على هذا اللون من القراءة تسميه (القراءة المتعالية)[50]، وهي مشتقة من مفهوم للنص يسمى (التعالي النصي)، أي ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص[51]، وهي نقيض ما يعرف بالقراءة الكامنة التي تنكب على تفحص مجموع العلاقات القائمة داخل النص نفسه، ويبدو جلياً ارتباط القراءة المتعالية - بشكل ما - بمفهوم التناص، بعد أن تمدد واتخذ أبعاداً مضافة على أيدي الكثيرين، وبات يشكل بذاته شبكة من المفاهيم تنسج خيوطاً متعددة الألوان حول المبدأ : ارتباط النص بعالم النصوص بشكل محتم، غير أن كيفية هذا الارتباط ومداه وماهيته فإنها تمتد وتتشعب بشكل ملفت، وتأخذ أبعاداً كثيرة ينم عنها كثرة الدوال التي يجذبها مصطلح التناص إلى حومته وتكشف عن مدلولاته مثل: توالد – تداخل – خلاصة – انبثاق – اعتماد – تعالق – لا حدود – تمثل – هضم – أخذ وعطاء ...، وهي في جوهرها واختلافها تشكل آماداً بعيدة، وفضاءات شاسعة تتيح للعقل والخيال والثقافة إمكانات رحبة للعمل، وربما يرتد ذلك – كما أشرت – إلى ثراء هذا المفهوم، وانسجامه مع تيار فكري يمتلك رؤية خاصة حول كيفية تواصل البشر عبر النصوص، وفي جانب آخر ينسجم مع طبيعة النصوص ذاتها، التي يفرض فيها التاريخ والواقع منطقهما، فمهما تعددت أوجه القراءة، سواء محايثة، أم تأويلية، أم متفاعلة، أو اختلفت مسمياتها فإنها تبقى قابلة لتعدد الدلالات بلا نهاية، وتحتفظ لنفسها بسيرورة دائبة وغير منقطعة عبر الزمن.

إن تعدد أوجه القراءات وكثرتها، وانبثاق ألوان ومفاهيم جديدة تزيح مفاهيم سابقة يؤكد نسبية معينة يتوافق عليها الدارسون، حتى ولو لم يتم الإعلان عن ذلك.

أفق النص/نص القارئ:

فضلاً عما يحف بالنص من وسائط خارجية لها قوتها وتأثيرها في فتح آفاق لا نهائية لتعدد مستويات الدلالة، مما يستوجب تعدد ألوان القراءة ونسبيتها بشكل عام، فإن هناك علائق موضوعية وكامنة، أو نسيج من العلاقات المتداخلة التي يعاد تنظيمها باستمرار، تتيح للنص استقلاليته وتفرده عن سائر ألوان القول، وهي علاقات ملموسة يدرك القارئ من خلالها أن الكلام المعطى نص وليس شيئاً آخر، بمعنى أن النص يقدم للقارئ إمكانيات حضور من خلال اعترافه الضمني بنظام، أو شبكة من الأعراف والتقاليد المحددة التي يتمكن خلالها من التواصل الإيجابي

مع قارئه، وهذه الإمكانية، التي لا غني عنها، تمثل قاعدة لنظام الإحالة الذي يحيل كل إشارة إلى مرجع تشير إليه، وبالرغم من أهمية توفر علاقات حضور، فإن انسياق القارئ خلف هذه الأهمية، فضلاً عن غلبتها، يقود إلى تحويل النص إلى مجرد مادة مغذية لتفسيرات عدة تجد طريقها إلى علم النفس والاجتماع والفلسفة والأيديولوجيات بأنواعها، وفي هذه الحالة – وهذا يحدث كثيراً – تتناقض دلالات نص بين باحث وآخر، وقد تتبدل أو يثبت خطؤها بعد حين، كما يستوي في ذلك النص وأي قطعة كتابية أخرى ما دامت تقدم معلومات يمكن استخدامها أو توظيفها، والواقع أن النص ليس وثيقة تحتوى معنى خبيئاً لحقيقة سائدة، أو مرآة تتبدى على صفحتها أشياء الوجود وكائناته ...

وفي جانب آخر، فإن سعي النص للتميز والاستقلالية يقوده إلى حتمية ترك ما هو مألوف وظاهر ليبني شبكة علاقات مستقلة عن الواقع المحسوس، من ثم تتشكل علاقة غياب ضرورية كذلك، وعندما تهيمن هذه العلاقة على النص، أو تصبح غاية في ذاتها، فإن مبدأ التواصل مع القارئ ينقطع فيفقد النص خاصيته ومبرر وجوده...

ومن الممكن إيجاز ذلك من خلال تصور طبيعة العلاقة المعقدة بين ثنائية الحضور/ الغياب، فكل منهما ضروري وماثل في ذات اللحظة، ويكشف، من جانب آخر، طبيعة العلاقة المعقدة بين النص والقارئ أيضاً، وهو ما حاولت الصفحات السابقة تلمسه بأوجه متعددة، وفي مستوى آخر تشير هذه العلائق إلى أن العمل المتاح ليس نصاً تماماً، وليس ذاتية القارئ فقط، بيد أنه لا يكفي تصورهما مجتمعين أو مندمجين، نظراً لخصائص كل منهما ووظائفه المختلفة : النص بناء، والقارئ ذات، وتتحقق العلاقة بينهما من خلال "عملية تفاعل الوحدات البنائية النصية مع تصور القارئ"[52]، وهي عبارة لأحد أقطاب ما يسمى ب (جماليات التلقي)، وتبدو منسجمة ومتوائمة مع خصائص النصوص بوصفها أشكالاً تنهض بعملية تنظيم خاص لفوضى الأشياء أو انحرافاتها، وكذلك مع القارئ بوصفه ذاتاً فاعلة لديها قيم وتصورات وليس مادة غفلاَ، والواقع أن عملية بناء النص وطرق تشكيله وتميز لغته هي أمور غدت معروفة وتشكل مجالاً لدراسات موسعة، سواء ما يتعلق بالشكل وطرق البناء، أو باستخدام وسائل تعبيرية خاصة كالرموز والمقابلات والثنائيات الضدية والأقنعة والتورية والتمثيل الكنائي والمفارقات والمحاكاة الساخرة ...، وكلها وسائل تضفى على النص طابعاً مميزاً وطريقة جد مختلفة في تعامله مع الأشياء والمواضعات المألوفة، غير أن هذه الوسائل والتقنيات، كما يرى آيزر (W, Iser)[53]بحق، هي المظهر السطحي لشكل النص وبنائه، وتفقد ثراءها عندما تنتزع من علاقاتها التركيبية، من ثم لا بد من توفر نسق

عميق وقار في بنية النص يتحكم في هذه الوسائل ويضبط حركتها بحيث تكتسب تأثيرها وفعاليتها، وكي يتاح لهذا النسق القيام بوظائف حيوية كهذه ينبغي أن يحتوى على جهاز متكامل يضم بنيات فاعلة يطلق عليها (آيزر) مصطلح الإستراتيجيات[54]، التي تحدد هدف النص النهائي، وهو يراه في تغريب ما هو مألوف، والواقع ألا جديد في ذلك سوى منطق العبارة ذاتها، فمن الجلي أن النصوص تنتزع الأشياء من سياقها المألوف لتعيد تنظيمها وفق منطقها الخاص، وذلك ما يكسبها طابعاً مميزاً تغدو بسببه "موضوعاً لإنعام النظر فيها"[55]، غير أن ما هو مألوف لا يفقد قيمته ودوره ضمن مفاهيم جماليات التلقي، فهو يشكل ما يعرف بـ (رصيد النص)، و يؤدي مهمة حيوية داخل الإستراتيجية النصية، إذ يوفر الأرض المشتركة التي تمكن النص والقارئ من الالتقاء، والشروع – من ثم – في عملية تواصل مثمرة، ولما كان رصيد النص يمثل النظام السائد، أو المواضعات العامة التي تفرض نفسها في ظروف تاريخية واجتماعية معينة، فربما أدى ذلك إلى الظن بأنه تعبير آخر عن مفهوم (أفق التوقعات)[56]، والواقع أنهما مختلفان بالرغم من تقاربهما، فالمفهوم الأخير ينحصر في توقعات القارئ لحظة تلقيه النص، فكلما كان القارئ معايشاً له، أو معاصراً فإن أفق التوقعات يتلاحم أو ينسجم مع علاقات النص، وكلما بعدت الشقة بينهما، أو كان بينهما فاصل زمني له اعتباره؛ فإن القارئ يهتم بإعادة صياغة أفق التوقعات لينسجم مع علائق النص وزمنه، وإذا لم يتحقق التلاحم، وكان التعديل متعذراً فإن النص يغدو مجرد أثر مكتوب وليس نصاً، وقد أشرت فيما سبق إلى أن أفق التوقع محدود، وهو متبدل بطبيعته سواء بتبدل الزمن أو بتبدل الجماعة المفسرة، كما أن النصوص الجيدة غالباً ما تميل إلى كسر أو تخييب أفق التوقعات.

أما رصيد النص فإنه في التلقي ينهض بمهمة مزدوجة، فمن جانب يعمل على تعديل، أو إعادة ترتيب المواضعات المألوفة بهدف إيجاد مرجعية مشتركة ضرورية للاتصال، ومن جانب آخر يقدم مشروعاً ملائماً يمكن من خلاله استنباط معنى النص، أو رسالته كما تسمى، وتلعب الاستراتيجيات – بتعبير آيزر – دوراً مهماً في تكييف هذه العلاقة، وجعلها صالحة لإقامة علاقة تفاعل متبادلة بين طرفين منخرطين بالفعل في مهامهما، وفي ذلك يتم إلغاء ثنائية الذات والموضوع، ليحل بدلاً منها التفاعل والتداخل بصورة كاملة، وينسحب ذلك على وظيفة الإستراتيجيات النصية أيضاً، إذ ليس من مهامها وضع آليات تنظيم شاملة لكل أدوات وعلاقات ودلالات النص، فهذا من شأنه أن يلغي دور القارئ ويحيده، إنها بالتحديد تشمل "بنية النص الباطنية و(معها) عمليات الفهم التي تستثار نتيجة لذلك لدى القارئ"[57]، وهذا يعني أن النص ليس

له وجود حقيقي إلا من خلال القارئ، وتغدو عملية القراءة بمثابة إعادة تشكيل لواقع قائم بالفعل (نص)، وهو واقع فني يغلب عليه الخيال قبل كل شئ، ولا يرتبط – من ثم – بالواقع ارتباطاً صارماً، بل لا يماثله بالرغم من علاقته به، ويصبح عمل القارئ، تبعاً لهذا المفهوم الجديد للقراءة، منصباً على كيفية معالجة هذا التشكيل المحول من الواقع، ومراوحاً في الوقت ذاته بين واقع (فني) له بنيته اللغوية والتشكيلية الخاصة، وواقع الحياة المليء بالمواضعات، وواقع القارئ الذي تحكمه مواضعات معينة أيضاً، وأخيراً واقع جديد بدأ في التشكل خلال هذه المراوحة الدائبة بين عالم الخيال وعالم المواضعات، ويمثل الواقع الأخير – كما يبدو – أحد أهم أركان الإستراتيجيات النصية عند جماليات التلقي، فهو يمثل خلاصة التواصل بين واقع فني يشير إليه النص، وواقع جمالي يشير إلى ما أنجزه القارئ، وهو يقع في المنتصف بينهما، وبعبارة أخرى هو مولود محتفى به ناتج عن علاقة، أو تلاقي الطرفين معاً، وليس أياً منهما على حدة، غير أن هذه العلاقة وكيفياتها تظل مهمة صعبة ومتشابكة، ما دام الناتج لا يمكن نسبته إلى طرف بعينه (النص/القارئ)، لذلك يتم إعداد آليات عمل تتفحص عملية القراءة ذاتها، وينهض إثر ذلك عدد من البنيات المهمة التي تسهم في بناء إستراتيجية النصوص، ومنها بنيتان أساسيتان، أولاهما تطلق عليه جمالية التلقي علاقة (الصدارة/الخلفية)، وهي ثنائية أساسية تتيح لإستراتيجيات النص خلق تأثير جمالي لدى القارئ، وهو تأثير ضروري ومطلوب لأنه يخلق حالة من التماهي المطلق بين النص والقارئ، ومن خلاله يتم توليد معنى أولي، وهو – كما يبدو لي – مقصود بذاته لأنه يقترب من جماليات التلقي التي تدفع، عبر الإحساس بالجمال، إلى الانغماس الشعوري والفكري في نص يبدو أنه يحمل قضية ما، فالمعنى وفق ذلك لا يتطابق مع واقع النص، وليس كامناً في الاستعداد الفردي للقارئ[58]، بل عملية متدرجة ومتنامية تنتج من التواصل المشبَع بالانهماك الشعوري، وتسعى عبر ذلك إلى قنص ما هو مثير ويلح في الالتفات إليه، مع أنه غير كاشف عن نفسه بصورة جلية.

وثاني هذه البنى هو ثنائية (الموضوع والأفق)، وترتكز بشكل أساسي على علاقة الطرفين (النص/القارئ) أثناء فعل القراءة، فالطرف الأول يحفل بمناطق فراغ أو فجوات، كأن تكون بعض الجمل قاصرة عن إرسال معني، أو تتبدى إشارات لأشياء ستأتي فيما بعد، أو قطع الكلام للانتقال إلى بؤرة أخرى في النصوص التركيبية ...، وعندما يهتم القارئ أو يلتفت إلى إحدى هذه الفجوات، فإن خياله يبدأ في العمل انطلاقاً من الرصيد المكون مسبقاً، وهذا التصادم بين الفجوة والرصيد يولد توتراً يثير القارئ، ويدفعه إلى تنشيط ملكاته الفكرية والتخيلية لإعادة تنظيم وربط

ما بدا مفتتاً، وملء ما بدا من فجوات ومناطق فراغ، وهكذا ينغمس القارئ مرة أخرى في فعل الإبداع، ويتحول إلى شريك في إنتاجه عبر عمليات متصلة من التعديل، وإعادة تشكيل وتركيب الجمل والعبارات، وهو في كل ذلك يستلهم رصيده المكون أساساً من واقعه التاريخي، ومن الجماعة التي ينتمي إليها.

وعلى الرغم من هذا الدور الهام الذي يضطلع به القارئ، فإن التحليل الدقيق لمضمون العبارات يقود إلى أهمية إدراك أن القارئ ليس حراً تماماً في فعل ما يريد، فهو، في جانب، مرتبط بتفسير جماعي وهو مظهر له، وفي جانب آخر فإن النص هو من يوجد هذه الفراغات بحيل أسلوبية وبنائية متعددة ليتعامل معها القارئ، بمعنى أن من يقود خطي القارئ أثناء فعل القراءة، ولا يتركه يلجأ إلى فرضيات أو تهويمات بعيدة؛ هو إستراتيجية النص ذاتها التي تأسره بتكتيكاتها المتضمنة أيضاً تفاصيل كثيرة، ومنظورات وأساليب متعددة تحيط بمناطق الفراغ وتتعلق بها، وهي بذات الوقت تمكن النص من مغالبة الزمان والقراء بحيث لا يستهلك في قراءة واحدة، أو في عدة قراءات، وحتى على مستوى القارئ المفرد فإنه مع كل قراءة قد يجد معاني جديدة، وتفسيرات أخرى تبعاً لتجاربه في الحياة، ونمو معارفه، كما أن العلاقات البشرية قد تكون متغيره ومتبدلة، ومع كل تغير يعاد تشكيل الرصيد الذي يعتد به القارئ،ويحاول أن يضع تفسيراً للنص من خلاله .

من ثم تتبدى علاقة متبادلة وحميمة ودائمة بين كلا الطرفين، ولا تنقضي إلا عند تحقيق عملية القراءة لوظيفتها الأساسية : التأثير الجمالي وتبادل وجهات النظر بين القارئ والنص...

وهكذا تبدو هذه الوقفة المتأنية لدى جماليات التلقي ضرورية لأسباب متعددة تتعلق بالبحث، فهي تمثل جماعاً لمحاولات كثيرة تقنن أو تفسر كيفيات قراءة النص أو مقاربته، وتبتدئ بالمدرسة الشكلية وتنتهي إلى ما بعد البنيوية، وتحاول عبر هذا التاريخ الطويل أن تؤسس لمفهوم متماسك، ويتسم بالإثارة حول العلاقة الإشكالية بين النص والقارئ، وتطرح خلال ذلك تفصيلات عديدة وتناقشها بدقة على نحو تجريبي، مما يعكس قيمتها وجديتها، وفائدتها أيضاً...

وبالطبع تتضمن قضايا ومحاور أخرى تكمل ما أثير في البحث، وبذات الأسلوب الذي يتوخى صياغة عبارات مثيرة لمفاهيم ليست كلها جديدة، وبشكل عام يمكن القول إنها تحاول التوسط بين المفاهيم السابقة عليها، فبعضها - كما لاحظنا – يركز على النص ويغيب القارئ، وبعضها الآخر يجعل للقارئ الحرية المطلقة في فعل ما يريد، في حين أن جماليات التلقي تجعل هذه العلاقة متبادلة، فبقدر ما يقدم النص للقارئ، وهذا يعني نصاً جيداً ذا إمكانات، فإن القارئ

يتفاعل معه، ويضفي عليه أبعاداً جديدة قد لا تكون ماثلة في النص، كذلك تركز هذه المدرسة على نسبية القراءة مهما تعددت ألوانها، بل تجعل النسبية أساس كل معرفة، وهي بذلك تتكئ على إطار فلسفي متأثر بالنسبية في العلوم[59]، وتعدد القراءات منذ قرون وحتى يومنا هذا يدل على وجاهة هذه المقولة – على الأقل بالنسبة للباحث – أما تشدان الحقيقة المطلقة في نص إنساني، أو عبر وسائل التواصل البشري فهو أمر يصعب تصوره، وقد تبدى في صفحات البحث العديد من أوجه القراءة، فضلاً عن القرّاء، تبعاً لاختلاف المناهج أو المدارس، وكذلك التبدل الذي يطرأ على المفاهيم والأفكار، كل ذلك يومئ إلى أن النصوص بذاتها تستدعي نسبية قراءتها.

والقول بذلك لا يعني أن جماليات التلقي قد أنهت النقاش حول كيفيات قراءة النصوص، فهي أيضاً مجرد مفاهيم نسبية، وقد يعتريها البلى والاندثار، بل في أطروحاتها ما قد يرفض، أو يبدو غريباً، أو يبدو مستعصياً على الفهم، خاصة لقارئ غير متخصص، وهي ذات الرؤية التي تبنيها لقارئ النص، فتفترض قارئاً خاصاً يملك الأدوات الضرورية لإعادة بناء بنية تصورية، كما أن هذا القارئ ينبغي أن يظل معنياً أساساً بالاهتداء إلى مواطن الإبهام والصمت في النص، ومحاولة تنشيط خياله وفكره لملء ما يبدو من فراغات، وإلا فقد تبعثر اهتمامه وتلاشى، كذلك يجب توافر رصيد عام حتى يتمكن الطرفان من التواصل معاً في أرض مشتركة...

وفي الوقت ذاته تجرد القارئ من أي منهجية، أو أي أفكار خاصة يتبناها، لأنه معنى أساساً بما يقدمه له النص ويقود خطاه إليه، وفي النهاية قد تتبدى ملامح قارئ يبدو مجرد (مظهر) لجماعة يعبر عنها ويحمل فكرها، كما أنه يبدو منقسماً على نفسه، يتغير فكره، وتتبدل رؤيته وثقافته بمجرد تبدل الأفاق التي ينتمي إليها، وربما يكون من طغيان المد التفكيكي ما يوحي بأشياء كثيرة، فهو لا يسلم بالتراتب ولا الانسجام، وكل محاولة لبناء علم أو نظرية في المعرفة، أو حتى أسس للتواصل، إنما تتضمن خضوعاً للانسجام والتراتب يجب حينئذ نقضها وتحويل مسلماتها إلى محض تهويمات، وهو ما يثير قضية أخرى ينبغي التمعن فيها.

النص/ اللانص:

تطرح المفاهيم السابقة النص بوصفه قاعدة متعارف عليها، والاختلاف يتبدى في كيفيات النظر إليه لتحقيق شرطين: نصية النص، وتفاعل القارئ معه، في الشرط الأول يبرز رأي سائد يشير إلى أن النص، الذي يمكن له حمل صفة النصية، هو كيان رمزي مفتوح لدلالات لا نهائية،

من ثم فإن مقاربته لن تكون مجدية دون التركيز على فعل القراءة فحسب، فهي الأداة القابلة للتكيف مع بنائه المراوغ، وبالتالي فإن هذا الكيان قد يفقد نصيته دون فعل آخر متمم له.

لكن ما هو النص؟ كيف يمكن لجماعة معينة أن تضفى النصية على كلام ما، وتسلبها من شئ مماثل له في الأداة؟ وكذلك إذا كان التعدد الدلالي ممكناً، ومسوغاً بذات الوقت لتعدد القراءات، فكيف للقراءات أن تختلف وتتباين، ولا تتعدد فقط..؟ ومن الممكن أن تتولد أسئلة أخرى من هذا الفضاء الممتلئ بالمفاهيم والأفكار والنظريات، وعلى الرغم من ميلاد علم للنص، فإن أحد المهتمين يقر بأن إعطاء تعريف لمفهوم النص هو أمر غير ممكن، وما يقدم في ذلك هو مجرد حدوس لأصحابها[60].

إن انتفاء الإمكانية هنا لا يتعلق بالمستقبل فحسب، بل يشمل الماضي والحاضر معاً، وقد قدمت مفاهيم وتعريفات عبر العصور، وكان كل عصر يعتبر التعريف السابق مجرد رؤية أصحابه للإنسان والعالم، وما دامت العصور مختلفة، فإن الرؤى تتبدل أو تحدث تحويراً في المفاهيم والقناعات، وهكذا نشأ تعريف كلاسيكي، وكذلك رومانسي ورمزي وماركسي وبنيوي.. لكن الحدود بينهما متباعدة، ومن خصائص التعريف أن يكون دقيقاً وشاملاً، وإذا كان ذلك ممكناً فمن المفترض في التعريفات المعاصرة، أو القريبة منها، أن تقترب من الدقة بتمثلها لتراث حي، فالماركسية – مثلاً – ترى أن "النص متحرك، مفتوح، يؤثر ويتأثر (...) وهو أداة فنية طبقية، وهو بهذا المعنى يسهم في تشكيل العالم وتغييره..."[61]، أما البنيوية فترى أن "النص ثابت ومغلق، له بنية مركزية، أو نظام تحتي خفي، وتتحكم في بنائه شبكة من العلاقات المتزامنة..."[62]،وبصرف النظر عن الثنائيات الضدية التي يحملها هذان التعريفان: (متحرك - مفتوح/ثابت -مغلق)، وهو ما يعني تناقضهما، فإن الفارق الأساسي يتولد من الرؤية، فأحدهما (أداة طبقية) وثانيهما (نظام تحتي)، ويغدو تحكم الرؤية في عملية القراءة حاسماً، فالنص – بصرف النظر عن قيمته – يكتسب أهميته وسيرورته عندما يتطامن ليصبح مجرد أداة كباقي الأدوات، يمكن توظيفها في التوعية أو في الصراعات أو في الثورة...، ويتم خلال ذلك إلغاء أو تهميش بنائه ولغته، ووفق رؤية مختلفة قد يتحول هذا النص إلى لا نص.

في الوقت ذاته يحتكم التعريف البنيوي إلى النظام، فيتحول إلى قراءة كامنة، تبحث عن الاتساق والتماثل في بنية النصوص، وبوصفها جزءاً من نسق غير مرئي يتصف بالثبات والسكون، فإن دلالة النص أو ارتباطه بالواقع أو التاريخ تمثل أموراً لا قيمة لها..ووفق رؤية مختلفة أيضاً قد يتحول النص إلى مجرد زخرفة لا فاعلية لها ولا دلالة (لا نص).

وحتى عندما يغيب النظام أو الأيديولوجيا، ويتم حصر الأقوال البشرية لتحديد المجال؛ فإن المشكلة تبقى قائمة، فهناك من يطالب بأن يقتصر مفهوم النص على ما هو مكتوب فقط، مثل (بارت) و(فان ديك)، فهل الرسالة أو الإعلان أو بطاقة التهنئة تصبح نصوصاً، إن شرط الكتابة ليس مبرراً كافياً لتحويل كلام ما إلى نص، كذلك فإن القول بأن "المؤلف ينتج نصاً، بينما لا ينتج الكاتب إلا عملاً، والنص هو الذي يستحق الاهتمام، فهو كما في السابق ما زال فرضاً، إمكاناً للمستقبل.."[63]، يتجاوب مع رأي أحد السيميائيين عندما يميز بين فكرتي النص والعمل الأدبي على أساس أن العمل موضوع كامل، يمنح معانيه لكل متمرن باعتباره جزءاً من مقصد كاتبه.. أما "النص فشئ مفتوح، وغير كامل، وغير مكتف (...) وكنص ينبغي أن تستمد معانيه من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء الذين يستعملون الشفرات المتاحة لهم، والنص دائماً يردد صدى نصوص، وهو نتيجة خيارات حلت محل احتمالات أخرى .."[64]، وتنهض هذه التفرقة بالأساس على اعتبار أن النص هو الكلام الذي لم يستهلك لأنه بذاته غير مكتمل، ويحتاج إلى قراءات كثيرة لإتمام ما به من ثغرات ومناطق صمت، أو (عمى) – كما يرى أحد أركان التفكيكية[65].

ومن الجلي أن هذه ليست خاصية النص في ذاته، بل هي نتاج التعامل مع هذا الشكل الكتابي، ويجب ــ من ثم ــ توفر قيمة إضافية، أو معيار موضوعي ما يحتكم إليه، فلا يكفي أن يجلس طالبان ويقرران أن الورقة التي وجداها على قارعة الطريق هي نص، فمن يضمن الاعتراف لهم بذلك، وليس كل كلام يردد صدى نصوص يتحول كذلك إلى نص، وهناك الكثير من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة، أو يكتبونها في أوراق لطلابهم تتضمن صدى لنصوص..

ومما يجدر ذكره – كما يرى كوللر – "عدم إمكان وجود نظرية لبنية النصوص، بسبب عدم وجود شكل شامل للمقدرة التي تنتج هذه النصوص.."[66]، وهو كلام يومئ إلى مقدرة القارئ الذاتية في تعقل ما يقرأ، ما دام لا يوجد شئ مؤطر ومجزوم به، وكذلك إدراك النص لحدود هذه المقدرة والنسج على منوالها، وهي أمور نسبية لا تضع حدوداً غير إقرار صعوبة ذلك .

والواقع أن هناك محاولات أخرى عديدة تنم عن زاوية الرؤية التي ينظر بها أصحابها للنصوص، فكل مهتم بالألسنية أو الأسلوبية أو البلاغة أو الاجتماع، فضلاً عن علم النفس والتاريخ.. يضع تعريفاً يلائم ذلك المجال، ولكثرة ذلك يغدو النص: ممارسة دالة – جهاز لغوي – جهاز للنقل الألسني – شبكة من الألسنية والبنيوية والايديولجيا ــ وعاء لدلالات متعددة – حيز لغوي متعدد المعاني – وحدة بلاغية – حقل منهاجي – نسيج لغوي – قطعة لغوية.. [67] وكثير من هذه التعريفات – أو ما سبقها – لا تنقصه العقلانية، خاصة عندما تقترب من وضعه في

سياق يمكن تقبله، بل يحدث ذلك عند إدراك صعوبة تحديد النص في ذاته، ويمكن الاقتراب أكثر عند فحص العملية برمتها، فالإنسان عندما يكتسب لغة ما، فإن هذا يعني دخوله مباشرة في سياق ثقافي خاص، وخصوصيته ستترك أثارها الحاسمة في الإدراك والتفكير والتمييز[68]، ومن جانب أخر فإن السياق الثقافي لا يوجده فرد، أو تحدده فترة زمنية قصيرة، إنه جماع لمنتوجات (نصوص) شعب عبر تاريخ طويل، قد تسقط أشياء في الطريق، أو تتبدل، أو تستحدث أفكار، لكن لا يحدث انقطاع، ويشكل هذا التراكم ثقافة شعب ما، وأهميتها تكمن – تبعاً لمجال البحث – في صياغة هذا الشعب بشكل منسجم، يتيح لأفراد معينين أن يبدعوا (كلاماً) وأن يجعله الآخرون نصاً، ليس لأن قراراً قد صدر، بل لأنه جزء من ثقافتهم، لذلك فإن "كلاماً ما لا يصير نصاً إلا داخل ثقافة معينة، فعملية تحديد النص ينبغي أن تحترم وجهة نظر المنتمين إلى ثقافة خاصة، لأن الكلام الذي تعتبره ثقافة ما نصاً، قد لا يعتبر نصاً من طرف ثقافة أخرى.."[69]، وقد تتعدد وسائل، أو كيفيات تحويل الكلام إلى نص داخل ثقافة ما[70] – انظر الهامش – وهذا يعني بالضرورة أن كلاماً آخر – أغلب الكلام – لا يشكل نصاً داخل الثقافة ذاتها، ربما لأنه يسقط من حسابه الوسائل والغايات، فيفقد مبررات البقاء.

ومثلما يتعين أن تتوافر مكونات ثقافية تحيل الكلام إلى نص، كذلك ينبغي عند مقاربته أو قراءته بأي كيفية؛ أن يوضع ضمن الأطر التي تنتجها الثقافة، لأنه بذاته قد أنتج داخل هذه الأطر، وانتقاء ذلك قد يحول قراءة النص إلى استخدام له ، مما يخل بنظام القراءة، وبنظام المعرفة والحقيقة أيضاً .

وفي تجربة ادوارد سعيد[71] مع نصوص المستشرقين مثل بارز على استخدام النصوص بدلاً من قراءتها، وهذه بالطبع قضية أخرى.

المراجع:

1. للتوسع انظر: السيمياء والتأويل، روبرت شولتز، ت: سعيد الغانمي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ص 20 .
2. هذه كلمات شائعة في الفكر النقدي المعاصر،وتعكس رؤية ومفهوماً للنص .
3. تعبير لريفاتير، انظر: النص الأدبي وقضاياه،محمد الطرابلسى، فصول،مجلد (5)عدد(1)، ص123.
4. من الدراسات العربية التي تتناول النص الأدبي وتبين ماهيته:

أ. أجدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب .
ب.ظاهرة الشعر المعاصر قي المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، محمد بنيس .
ج. إضاءة النص ، قراءات في الشعر العربي الحديث، اعتدال عثمان .
د. حركية الإبداع، خالدة سعيد .

5. لمزيد من المعلومات انظر : نظرية التلقي، روبرت هولب، ت: عز الدين إسماعيل، النادي الثقافي ــ جدة، ص202. وينبغي أن أشير إلي أنني أعيد تشكيل وصياغة العبارات المقتبسة لتأتلف مع سياق البحث وأسلوبه، وبهذا نتحاشى تحول البحث إلى قطع متناثرة، من ثــم لا يتم في الأغلب استخدام أدوات التنصيص.
6. استنادا إلى مفهوم النص في النقد الجديد، للتوسع انظر : النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ت: جابر عصفور، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ص 115، وكذلك المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، عدد 232، ص63.
7. السيمياء والتأويل، مرجع سابق، ص31 وما بعدها، وللتوسع انظر: الهرمنيوطيقاومعــضلة تفسير النص، نصر أبو زيد، فصول، مجلد (1)، عدد(3)، ص143.
8. وقد وسع أتباع (بارت)الفجوة بين الدال والمدلول، وذكروا بأن الدوال تعوم جاذبــة إليهــا المدلولات ومختلطة بها لتصير دوالا لمدلولات أخرى إضافية، والنتيجة هي خلخلــة كلمــة مدلول وإيجاد اضطراب فيها، للتوسع انظر: السيمياء والتأويل، مرجع سابق، ص245.
9. المقولة لريفاتار من كتابه(صناعة النص)،انظر: النص الأدبي وقــضاياه،مرجع ســابق،ص 123.
10. انظر: لذة النص، رولان بارت، ت: منذر عياشى، مركز الإنمــاء الحــضاري ــ حلــب، ص56.
11. حول الفرق بين العمل الأدبي والنص بتوسع انظر:البنيوية وما بعدها، جون ســتروك، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، عدد 206 ص87.
12. المقولة لبارت، واستند إليها تودروف أيضا، للتوسع انظر: نظرية النص، مجلــة العــرب والفكر العالمي، العدد الثالث،1988 ص96.
13. سأتناول ذلك لاحقا، للتوسع انظر: نظرية التلقي، سابق، ص211.
14. للتوسع انظر: التأويل والتأويل المفرط، امبرتو إكو، ت: ناصر الحلواني، قــصور الثقافــة 1996، ص105.

15. أثارت عبارة (أدبية الأدب) منذ أن أطلقها رومان جاكبسون نقاشات عديدة، للتوسع انظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص 152.
16. ذكره جونثان كوللر في (الشعرية البنيوية) انظر: السيمياء والتأويل، مرجع سابق، ص46. ومفهوم الكفاءة ذو علاقة بمفهوم القدرة عند تشومسكى .
17. هذه تعبيرات شائعة في كتابات النقاد المعاصرين، خاصة عند كوهن، ويـــاوس، وآيـــزر، وأبوديب، ودىمان، وسلدن، وبارت.
18. التأويل والتأويل المفرط، مرجع سابق، ص41.
19. النظرية الأدبية المعاصرة، مرجع سابق، ص 188.
20. البنيوية ومابعدها، مرجع سابق، ص97 .وهو تفسير مغالى فيه.
21. نفسه، ص97 .
22. وهى تعبيرات شائعة أيضا، وقد أفرد بارت في كتابه(لذة النص)فصلا بعنوان هسهسة اللغة، وهناك حشد منها في كتاب (المرايا المحدبة)، مرجع سابق .
23. للتوسع انظر: النقد البنيوي الحديث، فؤاد أبو منصور، ص45، وكذلك مشكلة البنية، زكريا إبراهيم ،ص47.
24. حول هذه المفاهيم انظر: دى سوسير، علم اللغة العام، ت: يوئيل عزيز، دار آفاق عربيـــة ،بغداد1985.
25. الأسلوبية الحديثة، محمود عياد، فصول، مجلد (1) عدد(2) ص 104.
26. الماركسية والنقد الأدبي، تيرى إيجلتون ، ت: جابر عصفور، فصول،مجلد(59) عـــدد(39) ص 27.
27. للتوسع انظر: عصر البنيوية، أديث كروزويل، ت: جابر عصفور، قصور الثقافة، ص 73.
28. علم اللغة العام، مرجع سابق، ص 23.
29. فعل القراءة- نظرية الواقع الجمالي، آيزر، ت: أحمد المدينى، آفـــاق المغربيـــة، عـــدد(6) ص39.
30. درس السيميولوجيا، رولان بارت، ت:عبد السلام بنعبد العالي، توبقال، المغرب، ص 12.
31. يفهم ذلك من كتابات بارت المتعددة، حيث تغدو اللغة بـــديلا للعوامـــل الاقتـــصادية فـــي الماركسية، والبيولوجية في الداروينية، واللاوعي في الفرويدية.
32. التعبير لبارت، انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، مرجع سابق، ص 128.

33. نفس المرجع، ص 129.
34. الدرجة الصفر للكتابة، رولان بارت، ت: محمد برادة، دار الطليعة، بيروت، ص20.
35. مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، المركز الثقافي، بيروت، ص 134.
36. الكتابة في درجة الصفر، رولان بارت، ت: نعيم حمصي، دمشق، ص17
37. المقولة لبارت، انظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مرجع سابق، ص 20.
38. نظرية البنائية في النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 40.
39. وقد حاول ستروك بعناء واضح أن يقيم علاقة بين الدال والمدلول اعتمادا على واقع الحال، غير أن الأمر في النصوص مختلف، انظر :البنيوية وما بعدها، مرجع سابق، ص 14.
40. مفاهيم الشعرية، مرجع سابق، ص 136.
41. جمالية التلقي والتواصل الأدبي،ياوس،ت:سعيد علوش، مجلة الفكر العربي، آذار1986، ص106.
42. مفاهيم الشعرية، مرجع سابق، ص 136.
43. قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ت: محمد الولي، توبقال، ص 18.
44. يجمع الدارسون على أن (جوليا كرستيفا) هي أول من استخدم هذا المصطلح بالرغم من أن جوهره ورد في كتابات بارت دون استخدامه لنفس المصطلح، وقد اتصل أيضا بالبيئة العربية سواء في الرسائل الجامعية أم في مؤلفات خاصة، انظر تأصيلا كاملا لهذا المصطلح في: دراسات في تعدى النص، وليد الخشاب، المجلس الأعلى للثقافة، ص 8 .
45. المرايا المحدبة، مرجع سابق. ص 163.
46. الخطيئة والتكفير،من البنيوية إلي التشريحية،عبد الله الغذامي،النادي الثقافي بجدة،ص 322 .
47. أقصد التشبيه فحسب، وفي كلمة (كاتب) بدلا من (مؤلف) إيحاء بذلك، إذ تعنى في الأصل (ماسك قلم) ، انظر في ذلك: المرايا المحدبة، مرجع سابق، ص408.
48. دراسات في تعدى النص، مرجع سابق، ص10.
49. من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري ماضي، المؤسسة العربية، بيروت، ص157.
50. مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ت: عبد الرحمن أيوب، دار الشئون الثقافية، بغداد، ص91.
51. نفس المرجع، ص121.

52. المقولة لآيزر، نظرية التلقي، مرجع سابق، ص326. ومما يجدر ذكره أن آيزر يميل إلـــي تسمية مقولاته بجماليات التأثير، لكن الدارسين وجدوا توافقاً جوهرياً مع ياوس، ويطلقـــون علي جهدهما (جماليات التلقي)، كذلك لا ينبغي الارتكان إلي كلمة نظرية خاصة في مجـــال الأدب، والأدق أن تسمى منهج أو مدرسة.
53. نفس المرجع، ص211، وما يلي يمثل عرضاً لهذه المفاهيم مستقى من مصادر متعددة .
54. نفس المرجع، ص210، وفي تراث البنيوية إشارات متعددة إلي البنية العميقـــة ودورهـــا، للتوسع انظر : البنيوية، جان بياجيه، ت: عارف منيمنة، دار عويدات، بيروت .
55. نفس المرجع، ص 208.
56. المرايا المحدبة، مرجع سابق، ص343، وآيزر يستخدم مصطلح (أفق التوقعات) لكن بمعنى مختلف عن استخدام ياوس .
57. نظرية التلقي، مرجع سابق، ص211 .
58. القارئ في النص، نظرية التأثير والاتصال، مقابلة مع آيزر، ت: نبيلة إبـــراهيم، فـــصول، مرجع سابق ، ص106 .
59. يصرح آيزر في كتاباته بأنه يتبنى الفلسفة الظواهرية كما هي عند(هوسرل)، ومما يجدر ذكره أن هوسرل كان من أبرز الفلاسفة الذين ركز عليهم(دريدا) لتقويض أسس فلسفته .
60. نظرية الأدب في القرن العشرين، فان ديك وآخرون، ت:محمد العمري، إفريقيـــا الـــشرق، ص28.
61. يعكس ذلك مفهوماً شائعاً، انظر المقتبس في: إشكاليات النقد العربي الجديد، مرجع سابق ، ص17.
62. نفس المرجع (بتصرف)، ص 18.
63. الكلام لبارت، انظر: البنيوية وما بعدها، مرجع سابق، ص97.
64. السيمياء والتأويل، مرجع سابق، ص 40 -41 .
65. يرى (بول دى مان) أن النص يحفل بمناطق عمى وهى حاسمة في تفسيره .
66. النظرية الأدبية المعاصرة، مرجع سابق، ص 202 .
67. تعريفات مستقاة من مصادر عدة،انظر:إشكاليات النقد العربي الجديد،مرجع سابق،ص 153.
68. الفكرة مستنبطة من كتاب: السيمياء والتأويل، مرجع سابق، ص26.
69. الأدب والغرابة، عبد الفتاح كيليطو، دار الطليعة، بيروت، ص13.

70. ذكرت العديد منها في البحث، مثل : أداء لغوى خاص - يحمل قيمة داخل الثقافة تلفت إليها - تتاح له سيرورة في الزمن - يستشهد به، يعمل بمقتضاه، وينسج على منواله. للتوسع انظر: الأدب والغرابة ، مرجع سابق، ص15.

71. يرى أن المستشرقين يستخدمون النصوص بدلاً من قراءتها، ولذلك علاقة بالسلطة والقوة، مما يخل بنظام المعرفة، للتوسع انظر: العالم والنص والناقد، ت: بشار لؤلؤة، شئون أدبية، عدد (15) ص36.